من التراث الغالي لمعلم الأجيال

الثمن

من التراث الخالد لمعلم الأجيال

الكتاب الثالث: الثمن

الناشر: المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت

http://copticlibrary.blogspot.com

تاريخ النشر: مارس ٢٠١٢م

مثلث الرحمات

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ال ١١٧

هذه السلسلة

تقدم المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت لقرائها الأعزاء في هذه السلسلة بعضاً من التراث الخالد لمعلم الأجيال وذهبي فم القرن العشرين والحادي والعشرين مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث. الذي أثرى حياتنا، وحياة الملايين من محبيه عبر الأجيال بأقواله وتعاليمه وحياته، فكان مصباح منير، بل شمس ساطعة أضاءت بقوة عالمنا الذي يحتاج دوما إلى قدوة صالحة تسير على هدى السيد المسيح وتتبع خطواته في الحب والبذل والاتضاع.

وكتابنا الثالث في هذه السلسلة عن مقال بعنوان «مدرسة القديسين - الثمن» نشره الأستاذ نظير جيد في صحيفة الشباب بمجلة الحق عدد نوفمبر سنة ١٩٤٧م.

نصلي إلى الرب أن ينيح روحه الطاهرة في ملكوت السموات وأن يمتعنا ببركه صلاته عنا.

المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت - مارس ٢٠١٢م

مدرسة القديسين
الثمن

انك تريد يا أخي أن تذهب إلى ملكوت الله، وترى ما لم تره عين، وتسمع ما لم تسمع به أذن، وأنا لا ألومك في هذا، فأنا مثلك أتمنى ما تتمناه، ولكني أحب أن أهمس في أذنك بكلمة صريحة وهي: «هل جلست أولاً وحسبت حساب النفقة؟».

هوذا أمامك المسيح ملك السماء، وأمامك الشيطان رئيس هذا العالم ولا يمكن الجمع بينهما إذ لابد أن تختار أحد الاثنين، ستقول في بساطة أنك تختار المسيح. ولكن هل تعرف الثمن الذي يجب أن تدفعه؟ إن لم تكن تعرف فاسأل المسيح يقول لك: «من لا يحمل صليبه ويتبعني فلا يستحقني». هذا هو الثمن يا صديقي فهل أنت مستعد لحمل الصليب؟ أم أنت ممن يعرجون بين الفرقتين؟ ويريدون

السماء والأرض مجتمعتين؟ وذلك محال. انك لا تستطيع أن تقود بيت إسرائيل وأنت في بيت فرعون تتبناك ابنته، وإنما يجب أن تحمل صليبك وتترك القصر والإمارة وتندمج في الشعب وعند ذلك تصير نبياً. وأنت لا تستطيع أيضاً أن تأكل المن السماوي وأنت في أرض مصر وإنما يجب عليك أن تحمل صليبك وتهرب إلى البرية وهناك تأكل المن والسلوى. وأنت لا تستطيع كذلك أن ترضي دليلة وتظل كما أنت شمشون الجبار وإنما عليك أن تحمل صليبك وتهرب من تلك المرأة- ثم يجب أن تعرف أن الصليب هو مدرسة القديسين. ففي جب الأسود صار دانيال دانيالاً، وفي وسط القروح صار أيوب أيوباً، وفي آتون النار صار الثلاثة فتية أبطالاً يقدسهم التاريخ، وكما كان لابد من الجب والقروح والنار لينال كل أولئك عظمتهم ، كذلك لابد من الصليب ليصبح المسيحي مسيحياً لأن هذا هو الثمن الوحيد لملكوت الله.

كثير من المسيحيين تسير حياتهم عادية جداً. أكل وشرب وضحك ونوم ويوم من الحياة يمر وراء يوم، إلى أن يأتي صباح الأحد فيذكر هؤلاء بأنهم مسيحيون، ولولاه لنسوا ذلك أيضاً.

أي صليب حمله هؤلاء، وأي تجربة تعرضوا لها، وأي تعب تعبوه لأجل المسيح؟ يأتي إليك واحد منهم وعلى شفتيه ابتسامه النصر كأنما في إحدى يديه إكليل الحياة وفي الأخرى مفاتيح السموات ويقول لك: «جاهدت الجهاد الحسن.» وتسأله أي نوع من الجهاد فيجيبك: «لم أسرق ولم أقتل ولم أزن ولم أظلم ولم أشتهي ولم أحلف.. حفظت الوصايا كلها وصليت وصمت وأحسنت إلى الفقراء وأكملت السعي و...» فإذا قلت له «ولكن الكتبة والفريسيين كانوا يفعلون ذلك أيضاً..»، وإذا سألته عن الصليب الذي حمله، وعن القداسة التي بدونها لا يعاين أحد الله، إن فعلت ذلك تركك ومضى إلى حيث حياته العادية.

فأي فضل إذا للمسيحيين؟! ألا فليعلم هؤلاء أن المسيحية سمو فوق ذلك كله. تحضرني في هذا المجال قصة راهب دخل ديراً أهله من القديسين فعاملوه معاملة طيبة حسنة، ومر على ذلك ثلاثة أيام وتضايق الراهب الجديد وطلب من رئيس الدير أن يخرجه من ديره، فلما سأل عن السبب قال الراهب: « أنا يا سيدي الأب رجل خاطئ، وقد جئت إلى الدير لكي أتعذب وأتعب وأهان من أجل المسيح، ولكن رهبان هذا الدير قديسون لم أحتمل منهم أي أذى. فأتركني إلى جهة أخرى أهان وأتعذب من أجل يسوع .»

هذه مسيحية يا أخوتي! وهذا هو اشتياق إلى الصليب لا يدانيه إلا تلك المرأة التي سألها القديس مقاريوس الكبير عن سبب ذهابها إلى الكنيسة فأجابت بأنه قد مرت عليها ثلاثة أيام وهي في راحة واطمئنان دون أن يرسل لها الله مشقة أو تجربة فخافت لئلا يكون معنى ذلك أن الله قد تخلى عن

حبه لها فهي ذاهبة إلى الكنيسة لكي تصلي إلى الله أن يرسل لها تجربة تشعر بها أنه ما زال يحبها.

هذا نوع مشابه من الحياة المسيحية. ولعلك تسألني الآن يا أخي العزيز سؤالاً تفصيلياً عن المعنى الذي أقصده من كلمة (صليب) فأقول أنه يجب عليك على الأقل أن تحمل الصلبان الآتية:

١ـ صليب الغربة:

ردد دائماً قول داود: «غريب أنا على الأرض، نزيل مثل جميع آبائي». وفي غربتك يجب أن تشعر باشتياق لا نهائي لملكوت الله فتفكر دائماً في أورشليم السماوية وتتصورها أمامك في كل لحظة، وتشعر بكراهية العالم ومجد العالم، وكل ما فيه من بهرج خداع جاعلاً شعارك قول التلاميذ للمسيح: «قد تركنا كل شيء وتبعناك». وإن حدث في ذات يوم أنك رغبت في منصب رفيع، أو مرتب كبير، أو مسكن فخم،

أو ملبس أنيق، أو عيشة مترفهة، أو مأكل شهي، إذا حدث ذلك فثق أن صليبك قد وقع من على كتفيك وأنت لا تدري، فتذكر حالاً قول الرسول: «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم» وأسرع واسترجع صليبك فهل أنت الآن يا أخي تحب شيئاً عالمياً.

٢ـ صليب الاحتمال:

ما دمت قد رضيت بالمسيح إلها فيجب أن يحلو لك كل شيء يصيبك بسببه. لقد قال لنا المسيح: «في العالم سيكون لكم ضيق» وقال أيضاً: «وسيبغضكم العالم» وقال مرة ثالثة: «طوبى لكم ان طردوكم وعيروكم وقالوا فيكم من أجلي كل شر كاذبين» فلماذا إذاً عندما يصيبنا شيء من هذا نضج ونشكو ونبكي ونحتج ونسخط و... أين صليب الاحتمال؟

إن كنت يا أخي مسيحياً وأصابك شيء من الاضطهاد من أجل المسيح فاحتمل في صبر وفي سرور لأنه هكذا حدث

للأنبياء من قبل، إن شكواك ستقلل كثيراً من أجرك، وفرحك بالاضطهاد سيضاعف قيمتك في السماء,

إن آباءنا الشهداء كانوا يتهافتون على الموت من أجل المسيح فلماذا نخاف نحن منه ونهرب؟ عليك يا أخي أن تحتمل ليس اضطهاد عدوك فقط وإنما أيضاً احتمل كل ما تلقى من المتاعب، احتمل خيانة الغير، واحتمل حماقة الآخرين، واحتمل ضعفات من يعتدون عليك بأي اعتداء.

٣ـ صليب الخدمة

يجب أن تعتقد في كل وقت أنك مسئول عن كل خاطئ وكل جائع وكل عريان وكل مريض، وانه يجب أن تخدم الجميع لأنك أخ للجميع يهمك أمرهم كما يهمك أمر نفسك تماماً. يجب أن تعطي اليعازر لأن هذه هي الوسيلة الوحيدة التي توصلك إلى أحضان إبراهيم.

فهل أنت كذلك؟ هل تنصح كل خاطئ تعرفه، وهل تقرن

النصيحة بالصلاة لأجله، وهل تتحمل في سرور كل تعب وإهانة في سبيل اصلاحه؟ ، وهل تشفق على كل جوعان، ولا يحلو لك طعام أن شعرت أن هناك من هو محروم منه. وهل اشفاقك عملي بحيث تتنازل عن كل كمالياتك وعن بعض ضرورياتك من أجل أخيك المحتاج! وهل أنت تترك أوقات ضحكك - ولو كان بريئاً - لكي تذهب فتزور مريضاً وتظل إلى جواره تواسيه وتخفف من آلامه؟ إن كنت كذلك فطوباك. لقد حملت صليباً، وإن لم تفعل شيئاً من هذا فاذهب وافعل قبل أن تأتي الساعة، وتذكر أن أنبا أغاثون كان يقول: «ليتني أجد مجذوماً يأخذ جسدي ويعطيني جسده».

٤ـ صليب الاجتهاد

واعني به التقدم باستمرار في النمو الروحي. فهل أنت مجتهد في صلاتك؟ وكمثال للاجتهاد أقول لك أن الأب أرسانيوس كان يصلي والشمس من ورائه ويستمر في صلواته

حتى تظهر الشمس من أمامه. وهكذا يبقى طول الليل في صلا ة، فهل أنت كذلك؟ أو على الأقل هل تقاوم النوم و تصلي؟ وهل صلاتك مصحوبة بتنهد كالأنبا بولا، ومصحوبة بدموع كصلاة داود، وهل تشعر في صلاتك بانسحاق قلب، وباتصال عميق بالله وبرغبة في الاستمرار كذلك؟ وهل أنت مجتهد في صومك؟ صيامك مصحوب بلطف على الفقراء، وقراءة الأنجيل، وتسبيح وترتيل؟ ان كنت تفعل ذلك فطوباك، لقد حملت صليباً.

٥ ـ صليب التخفي

إن حملت يا أخي كل صلبان المسيحية وأهملت هذا الصليب كنت كغير المسيحي تماماً، حياة التخفي - كما يقولون - هي حياة القديسين، افعل كل شيء حسن، وتفانى في حب الله والناس ولكي لا تجعل أحداً يعرف عن ذلك شيئاً.

كان الأب أرسانيوس عندما ي دخل الكنيسة ينزوي

مختفياً وراء عمود لكي يصلي فلا يراه أحد ويتنهد في صلاته فلا يسمعه أحد.

وكان أحد القديسين يصرخ أحياناً ويقول: «يا إلهي، أي شر قد فعلت حتى يقول الناس عني حسناً، فهل أنت كذلك؟ وهل أنت كره مديح الناس وتهرب منه، وهل تكره التحدث عن نفسك، وهل تهرب من الشهوة، وهل كشفت كل أعمالك عن أخص أصحابك وعن أفراد أسرتك، إن كنت كذلك في كل ما قلناه فطوباك ، انك حملت صليباً.

٦ـ صليب التواضع

بقي بعد أن تفعل كل الفضائل أن تشعر تماماً بأنك لم تفعل شيئاً وأنك ما زلت خاطئاً جداً وتذكر قصة الراهب الذي ظهر له ملاك وقال له: «أنا جبرائيل وقد أرسلت إليك»، فرد الراهب القديس قائلاً: «لعلك أرسلت يا سيدي إلى غيري أما أنا فإني رجل خاطئ ولا أستحق أن يظهر لي ملاك».

خاتمة:

هذه بعض صلبان المسيحية، فهل أنت مسيحي؟ وهل جعلت شعارك قول المسيح: «من وجد نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها» (متى ١٠: ٣٩)؟

ما زالت أمامك فرصة في الحياة تفعل ذلك قبل أن تأتي الساعة.. ان يوسف قبل أن تأتي سنوات الجوع كان قد خزن القمح الكافي، والعذارى الحكيمات قبل أن يأتي العريس كن قد حجزن الزيت اللازم.

أما أنت، فهل خزنت قمحاً، وهل حجزت زيتاً؟

نظير مبير
ليسانسيه فى التربية والآداب

المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الأنترنت
http://copticlibrary.blogspot.com